

مني والذي أن أضيف مهارّة جديدة إلى مهاراتي، مهارة التعامل مع البحر والمشاركة في رحلات الغوص. ماأذكرهاَن للبحر رائحةٌ وصوتاً. أما رائحته فهي قوية تملأ الأنفاس، وتبُث في النفس النشاط، وأما صوت البحر فما أجمله؛ وخاصة إن اختلطت أصوات أمواجه بصوت النوارس أصوات وروائح وذكريات جميلة عندما كنا نلُحُّ مع الأصدقاء ومع خيولنا على شاطئه الجميل. ما لم أكن أعرفه أن البحر ليس فقط صوتاً ورائحة وذكريات طفولة، وآمال وآلام وقصص كثيرة عاشها أهل دبي نتيجة تعاملهم المستمر مع البحر؛ قصص لم أكن أتخيّلها حتى أمرني أبي بارتياح البحر وتعلُّم بعض وصل إلى هذا المنصب بتجربته ا و"السردال" في لغة أهل . "ل م ت ر ا ك م ة و م ع ر ف ت ه ا ل م ت و ا ر ث ة . ك ا ن يُ ل ق ب ب ا س م " ا ل س ر د ا ل و ي ح د د "السردال" بداية الموسم بناءً على حركة الأمواج، ويتعرّف البحر هو كبيرهم وأخبرهم بالبحر ومواسمه ورياحه ومواقبته؛ على الاتجاهات بتتبُّع مواقع النجوم. وللسردال قدرة على رسم خريطة لقاع البحر وما يوجد فيه؛ يمكننا أيضاً استخدام المبادئ نفسها لتصوّر قاع البحر والتعرُّف على طبيعته. كان البحارة يربطون كتلة ثقيلة من الرصاص، وكان أبو جابر قادراً على تأثيره على حركة معرفة مكونات القاع من خلال ما يعلّق منها بكتلة الرصاص، كما كان قادراً على قياس قوة الموج من خلال المحار – الذي يضم اللؤلؤ الثمين – والذي، كان أهل دبي يغوصون في الصيف بشكل رئيسي حيث تكون المياه دافئة. الحبل يكون على أعماق متفاوتة وفي مناطق مختلفة. فإن الحرارة على سطح الماء تكون لاهية، مما يصيُب الكثيّر من البحارة بالجفاف بسبب قلّة المياه التي يحملونها. فكان الغوّاصون يستقون منها المياه أثناء رحلات وكان يعرف مواقعَها أهل الخبرة والغوص البارد هو الأصعب نتيجة برودة المياه، حيث يختصر، القائد الإنسان لا بد أن تكون قدماه على الأرض. والتجربة كان والذي يرسلني إلى أبو جابر لأتعلّم منه عن البحر وأحواله، الغواصون وقت الغوص، ويكون البحر في حالة غير مستقرة وخيراته ومواسمه، ولكن أكثر ما تعلمُت من رحلاتي معه هو صعوبة الحياة في البحر، لم ينظر للأمور من فوق ليستطيع تلخيصها تغيير حياتهم للأفضل. وخلال تلك الرحلات كنُت أساعد في عملية التحضير، وتجريدها واتخاذ قرارات بشأنها. ويعايش حياتهم كتحميل القوارب بالمؤن، كان "السردال" يحدد المناطق التي ينتشر فيها اللؤلؤ. وكان الغواص يقفز تحت الماء واضعاً عظمة سمك على أنفه لسدّه، وحبالاً يربط على عنقه، ويمسكه "السايب" أو الرجل الذي يسحبه إلى الأعلى. يملأ الغواص رئتيه بالهواء ويغوص في الأسفل، لا أحد ينبس بكلمة أعلى القارب، ولا يُسمع إلا صوت تمايل القارب استجابةً لموج البحر. وما إن يشدّ لم يكن مستغرباً وقوع للسباحة إلى سطح الماء الغواص الحبل حتى يقوم "السايب" بسحبه إلى الأعلى بسرعة، وتعوزه الطاقة الكثير من الحوادث والوفيات المأساوية في رحلات الغوص. كانوا يصلّون على الميت ثم يلقونه في البحر. وفي أحيان أخرى، مما يسبب ألماً شديداً للمصاب إلى درجة تدفعه حيث يكون في الانتظار جيش من الأطفال والنساء الذين يستقبلون أهاليهم بكل فرح؛